

سوريا بعد التحرير.. حين استعادت المدن وجوهها

كتبه أحمد سيف النصر | 10 ديسمبر, 2025



بعد الثامن من ديسمبر/كانون الأول 2024، طُويت صفحة طويلة من تاريخ سوريا العاصر بسقوط تماثيل وصور آل الأسد، وتلاشت الشعارات التي سيطرت على الفضاء العام لعقود. ومع انهيار هذه المنظومة البصرية، افتح المجال أمام السوريين لاستعادة شوارعهم وساحاتهم.

في الأسابيع الأولى التي تلت التحرير، شهدت المدن السورية تحولاً سريعاً، أزيلت أسماء الشوارع والمؤسسات التي حملت اسم عائلة الأسد، وامتلأت الساحات والميادين والمدارس بجداريات الثورة، وصور الشهداء، ورموز الحرية. حتى الجدران التي كانت شاهدة على القمع تحولت إلى مساحات للإبداع الشعبي، تتدخل فيها رسائل الوحدة مع ملامح تضحيات السوريين وأمالهم بمستقبل قائم على العدالة والكرامة.

لقد باتت الشوارع والمدارس والساحات اليوم أشبه بمتحف حية، تروي قصة سوريا الجديدة التي يخطها أبناؤها بأيديهم، وأصبح الفضاء العام سجلاً بصرياً يحكي الحرية التي تنبت في كل زاوية، ويجسد الذاكرة التي ترسم وتنكتب بألوان الثورة.

وهكذا استعاد الفضاء البصري حريته المسلوبة، وتحول إلى كتاب مفتوح يرسم ويكتب فيه الناس تارихهم بأنفسهم، لم تعد الجدران وسيلة للهيمنة، بل صارت لغة وطنية جامعة تعبر عن شعب يستعيد روحه ويخط ملامح سوريا الجديدة.

في هذا التقرير نرصد مسار هذا التحول التاريخي، من سقوط رموز الاستبداد إلى نشوء فضاء بصري جديد يبرهن أن سوريا الجديدة ترسم بأيدي أبنائها، وأن الفضاء العام بات أخيراً انعكاًساً حقيقياً لهم ولرؤيتهم لمستقبلهم.

سقوط رموز الطغيان

عاش السوريون لحظة رمزية فارقة في تاريخهم الحديث، لحظة سقوط رموز الطغيان، لم يكن إسقاط الصور والتماثيل مجرد فعل غاضب أو انفعالي، بل إعلاناً جماعياً عن تحرر الفضاء العام من هيمنة استمرت عقوداً، وعن استعادة الناس لحقهم في الفضاء العام.

منذ الساعات الأولى لتحرير المدن، انخرط الأهالي في المدن الكبيرة والصغيرة في تدمير تماثيل عائلة الأسد، وإحراق الصور وتدمير اللوحات من الجدران الحكومية والمقرات الأمنية والمدارس والمستشفيات والطرقات، وشملت العملية أيضاً إزالة الشعارات واللافتات التي كانت تُمجّد حزب البعث.



تمزيق لوحة بشار الأسد ووالده حافظ في مطار حلب، (أسوشيتد برس)

في حمص، احتشد مئات السوريين حول تمثال حافظ الأسد الذي ظل لعقود رمزاً للهيمنة، وفي لحظة فارقة، أسقطوه بأيديهم في خطوة تتناغم مع ما شهدته درعا وحماء قبل أيام، وقد حمل المتظاهرون أدوات بسيطة لتدمیر التمثال وهم يهتفون الله أكبر، وما إن سقط رأس التمثال حتى عم المكان تصفيق وهتافات امتزجت بفرحة عارمة.

وفي درعا مهد الثورة السورية، تسابق الأهالي لتحطيم تمثال حافظ الأسد، يتناوبون على سحب الحال لتدمیر التمثال، وقد تحول الحدث إلى مهرجان شعبي، ومع بزوغ صباح اليوم التالي، خرج السكان إلى شوارع المدينة لسلخ ما تبقى من التمثال بعد إسقاطه ليلة أمس.

وفي حلب، قام السوريون بإزالة تمثال باسل الأسد عن حصانه في دوار الباسل، شارك الأهالي في إزالة التمثال وسط تكبيرات وتصفيق، إلا أن النظام انتقم منهم في ساعتها، وقتل 61 مدنياً ثمناً لجرائمهم على تحطيم التمثال.



جرأس تمثال حافظ الأسد عبر شوارع مدينة حماة

وفي حماة وفي لحظة ذات رمزية عالية، أسقط الأهالي تمثال حافظ الأسد مستخدمين ذراغاً آلية ضخمة لتدمره، ومحتفلين بإطلاق النار في الهواء ومرددين هتافات الله أكبر، ثم قاموا بجر رأس التمثال بواسطة شاحنة صغيرة لفت به شوارع المدينة.

أما دمشق الأكثر إرهاقاً بصور وتماثيل النظام، فقد شهدت مشهدًا درامياً غير مسبوق، فقد منق الناس صور الأسد والجداريات العملاقة التي ظبعت لعقود على مداخل الأحياء، أسقطها الناس بأدوات بسيطة، سكاكين، وأيادٍ حافية، وكان إسقاط العديد من تماثيل وصور الأسد حدثاً بحد ذاته، تجمهر الناس تحتها، بعضهم يبكي، وبعضهم يوثق اللحظة التي لم يتخيّل أنه سيشهد لها يوماً.



في الحقيقة، تكررت هذه المشاهد في عشرات الدن والبلدات السورية، وبذا الحدث في كثير من الأماكن كعيٍ صغير للحرية، امتنجت فيه الدموع بالضحكات، وتحولت لحظة تحطيم رموز الطغيان إلى طقسٍ جماعيٍ.

و قبل هذا التحول، كانت تلك الصور والتماثيل جزءاً من هندسة دقيقة للسيطرة النفسية والاجتماعية على المجتمع، فقد انتشرت ثلاثة آلاف تمثال لحافظ الأسد في جميع المحافظات، إلى جانب صور نصبٍ في مداخل المدن، وساحات الجامعات، ومباني الوزارات والمستشفيات، والطرق، وحتى الحال التجارية الصغيرة.

هذه التمثيلات البصرية أعادت إنتاج حضور النظام الطاغي في تفاصيل الحياة اليومية، وتحولت الخوف إلى عادة اجتماعية راسخة، تفرض نفسها على كل لحظة في حياة السوريين.



بقايا تمثال حافظ الأسد بعد تدميره

بسقوط هذه الرموز انهار نظام كامل من السيطرة البصرية، واستعاد الناس ملكيتهم للشارع وأعادوا تعريف الفضاء العام كمساحة تعبّر عن إرادتهم وقصتهم، وقد تشكّل بذلك أرشيف بصري جديد يعلن نهاية مرحلة مظلمة وبداية أخرى تُكتب فيها سوريا بألوان أبنائها.

قبل عام من اليوم.. سقطت تماثيل الأسد التي جسّدت عقوّاً من القمع.
pic.twitter.com/AVE4rU45UO

المدن تستعيد وجوهها.. والفضاء العام يعود للناس

بعد عقود احتكرت فيها صور الأسد وشعارات البعث الجدران والميادين، بدأ الفضاء العام يستعيد صوته المفقود، وما إن انهارت التماثيل والرموز القديمة، حتى اندفع الناس إلى إعادة تشكيل شوارعهم وساحاتهم، فملأوا الجدران بمعانٍ جديدة تعيد تعريف المكان وروحه، لتولد هوية بصرية تعددية تختلف من مدينة إلى أخرى وتعكس حكاية كل مدينة وذكرتها.

انبعثت شرارة هذا التحول من ضواحي دمشق، خاصة داريا، قبل أن تمتد سريعاً إلى مدن كبرى مثل حلب وحماء وإدلب ودرعا، وشارك في هذه النهضة البصرية شباب متطوعون، طلاب الجامعات، فنانون محليون، أسر الشهداء والمحتفين، في حركة واسعة اتخذت أشكالاً متعددة، كجداريات على أنقاض المنازل المدمرة، لوحات كبرى عند مداخل الأحياء، ورسم على الجدران العامة ضمن مبادرات تطوعية.



جدارية في مدينة حلب

تركزت هذه الجداريات بين الذكرة والتخليد (شهداء، المحتفين)، الحرية والأمل (رموز السلام، الطيور، الأطفال، الشمس)، الوطنية والهوية (شعارات العدالة، رسائل التضامن).

وتحولت العديد من الجدران إلى سجلات بصرية تحفظ وجوه الشهداء، وتحكي قصة الألم والصمود، وترسم ملامح الهوية الوطنية الجديدة، فقد ظهرت على تلك الجدران الأم، والطفل الذي يرفع علم الحرية، والطائر الخارج من القفص، واليد التي تبني، وترافق ذلك مع نصوص قصيرة مكثفة صنعت قاموس المراحلة: "كرامة - نحلم معاً - أرفع راسك - سوريا للجميع".



جدارية "دوار الحراب" في مدينة إدلب

في كل مدينة، ساهم المتطوعون والطلاب والفنانون المحليون في إعادة تشكيل الفضاء العام بصرياً، فقد أزيلت صور النظام الساقط في أماكن مثل [اللاذقية](#)، ورُسمت [حداريات](#) داعمة لبادرات شعبية مثل حملة "فداء لحماء". وفي حماة، حُذفت الشعارات القديمة من جدران المدارس واستُبدلت بعبارات الحرية والكرامة، بينما في حلب، رسم الشباب [حداريات](#) جديدة للمدينة بعد التحرير، معبرة عن الثقافة المحلية وهويتها الخاصة.

يمكن القول إن الفضاء البصري الجديد يحتضن فعلاً كل أبعاد التجربة السورية، الألم، المقاومة، الأمل، والهوية. وهكذا، تحول الشارع السوري إلى معرض مفتوح يعكس نبض المجتمع، ويُظهر كيف استعاد الفضاء البصري حريته، وكيف بات الناس شركاء مباشرين في صياغة ملامح الفضاء العام، بعيداً عن إرث القمع الذي خنق الفضاء العام لعقود طويلة.



جدارية في درعا

وجوه الشهداء والمقاتلين: ولادة أيقونات الذاكرة الوطنية

بعد سقوط النظام، بدأت المجتمعات المحلية سريعاً في ابتكار رموز بديلة تحل محل صور الطغيان، وكان أبرزها صور الشهداء التي أصبحت المدخل الأول لولادة سردية جماعية جديدة، أعادت هذه الصور دمج الشهداء في حياة المدن اليومية، ومنحت الناس شعوراً باستعادة ذاكرتهم المصادرية.

تحولت وجوه المقاتلين والمسعفين والنساء والأطفال وضحايا القصف والاختفاء القسري إلى لغة بصرية موحدة تعبّر عن التضحيّة الجماعية، وتشكل طقساً يجمع بين الحداد على الراحلين والاحتفاء بالقيم التي حملوها، ففي العديد من المدن، اكتسّت الجدران بصورة إبداعية للشهداء.

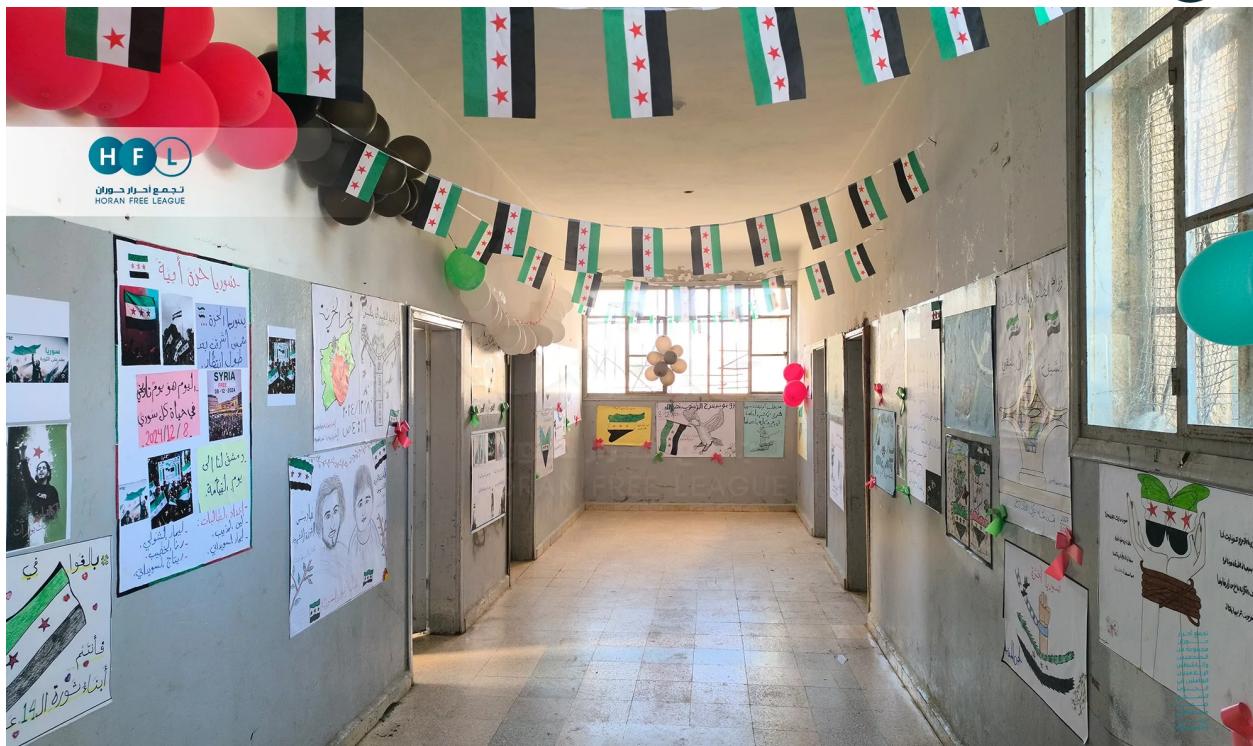


رفع أهالي مدينة داعل في درعا صور أبنائهم الشهداء الذين قضوا في سجون النظام المخلوع

المدارس والمؤسسات العامة: هوية وطنية جديدة

بعد سقوط النظام، رفعت المؤسسات العامة من على جدرانها صور ورمز الأسد، وبدأ التحول من المدارس، حيث اختفت صور الأسد بالكامل، وحلت مكانها أعلام الثورة والجداريات التي ابتكرها الطلاب، تحولت المدارس إلى مختبرات حقيقة لبناء الهوية الوطنية الجديدة، وفضاءات بصرية تُكرس قيم المواطنة بدل تمجيد السلطة.

ففي مدارس حماة، رسمت جداريات فنية رسمها شباب ومتطوعون من أبناء المدينة، في مبادرة أهلية أعادت للمدرسة روحها ومكانتها. وفي أحياء عديدة من المدن، تحول الشارع نفسه إلى معرض بصري مفتوح، وفي دمشق، انطلقت حملة واسعة لطلاء الجدران وإزالة كل ما تبقى من آثار المرحلة السابقة من المدارس والمؤسسات العامة.



مدرسة بمنطقة نوى بريف درعا تعرض لوحات جدارية تجسد روح الثورة السورية رسمها الطلاب

إعادة تسمية الشوارع والساحات والجامعات

مع بداية مرحلة ما بعد سقوط النظام، بدأت عملية واسعة لإعادة تسمية الشوارع والساحات والجامعات التي حملت أسماء عائلة الأسد، كان ذلك امتداداً طبيعياً لتحرير الفضاء العام من إرث الطغيان، وإزالة الأسماء التي رافقته عقوداً من الظلم والهيمنة، واستبدالها بتسميات تعبر عن الثورة وقيمها.

أول هذه الخطوات كان تغيير أسماء الساحات والشوارع الكبri، فقد تحولت ساحة الأسد إلى ساحة الثورة، واستبدل شارع باسل الأسد بشارع شهداء الحرية. وعلى النوال نفسه، أعيدت تسمية الجامعات والمؤسسات التعليمية والمكتبات، فغدت جامعة البعث تحمل اسم جامعة حمص، وتحولت جامعة تشرين إلى جامعة اللاذقية. كذلك استُبدل اسم مكتبة الأسد بـ المكتبة الوطنية، وأزيلت الأسماء المرتبطة بالنظام من المساجد مثل جامع باسل الأسد.



جدار في حي القدم بدمشق

وفي العاصمة دمشق، شملت عملية التحرير العالم الأكثـر شهرة، إذ أعيدت تسمية جسر الرئيس ليصبح جسر الحرية. أما في حماة، فتم إطلاق اسم دوار شاهين على أحد الطرق تكريـماً للطائرة المسيرة شاهين التي لعبت دوراً بارزاً في معركة ردع العـدوـان.

في الواقع، شهدت دمشق ومدن سوريا أخرى حملات واسعة قام بها الشباب المتطوعون لطـلاء **الحدـران** وإزالة كل الرموز والشعارات التي تذكر بعقود القـمع، لتحول الشـوارع إلى فـضاء جـديـد يـعكس الحرية.



جدارية عند ساحة باب توما بدمشق، (رويترز)

مبادرات الذاكرة: حملة "أنتم معنا" نموذجاً

مع بداية المرحلة الجديدة بعد سقوط النظام، ظهرت مبادرات منظمة تسعى لثبت الذاكرة الجمعية وتعزيز قيم العدالة والمواطنة. وفي مقدمة هذه المبادرات جاءت حملة "أنتم معنا" التي أطلقتها منظمة عدل وتمكين لرسم جداريات لوجوه 10 آلاف مختفي قسراً. شارك في هذه الحملة فنانون محليون وطلاب جامعات وأهالي المعتقلين، وانتشرت أعمالها في دمشق ودرعا وإدلب، لتصبح نموذجاً حيّاً لدمج الفن بالعدالة الانتقالية.



جسّدت هذه الحملة مرحلة متقدمة من الثورة البصرية بعد سقوط نظام الأسد، فهي لم تكن مجرد فعل تذكاري، بل مشروع سياسي واجتماعي وفي في آن واحد، يعيد تعريف الفضاء العام بوصفه مساحة للتعبير الجماعي وتوثيق المعاناة، ويوسّس لوعي جديد قائم على العدالة والكرامة.



جدارية في داريا تُعيد إحياء ذكرى المختفين قسراً

وفي داريا جنوب غرب دمشق، بُرِزَت إحدى أبرز التجارب البصرية ضمن هذا المسار، إذ انتشرت الجداريات التي توثق المفقودين والمختفين قسراً. وفي مبادرة لافتة، قام فنانون شباب بقيادة بلال شوريه بتحويل أنقاض منزل مدمر إلى لوحة تذكارية كبيرة، حيث رُسمت على السقف المنهاج جدارية ملونة تُكرم العائلات التي فقدت أبناءها، وهذا العمل واحداً من أهم المشاريع الفنية في داريا.

في الواقع، رسم وجوهآلاف المختفين هو فعل تحويل الجرح الفردي إلى ذاكرة وطنية مرئية، فعل يجعل فقد عنصراً يجمع المجتمع حول قضية العدالة، ويحول الفضاء العام إلى متحف مفتوح يربط بين الماضي والحاضر والمستقبل، ويمنح الناس إحساساً أعمق بالانتماء والمسؤولية.



فنانون سوريون يرسمون جدارية على سقف منهار لنزل في داريا، (AP)

حين يتكلم الفضاء العام: أثر الرموز الجديدة في إعادة تشكيل وجه سوريا

مع بزوغ الرموز الجديدة في الشوارع والمدارس والمؤسسات، بدأ الفضاء العام في سوريا يتغير بعمق، وهو تغير لن يقتصر على الشكل، بل سيطال الوعي والخيال الاجتماعي. لم تعد الجداريات مجرد زخرفة، بل أصبحت بنية جديدة تعيد تشكيل الذاكرة الجماعية وطريقة قراءة السوريين لأنفسهم ولدينتهم بعد عقود الاستبداد.

مع انتشار جداريات الحرية وصور الشهداء ورموز المواطنة في كل زاوية، ارتفع الوعي الجمعي بأن مرحلة جديدة قد بدأت، خلقت هذه الرموز ما يمكن تسميته بـوعي القطيعة، قطيعة مع الريمنة النفسية السابقة، قطيعة مع الفضاء العام بوصفه ملكاً للسلطة، ووعي بأن يد الشعب تحدد شكل المكان ومعناه، أصبح الشارع للمرة الأولى منذ عقود مساحة مفتوحة يرسم فيها السوريون مستقبلهم.

كذلك تؤدي تلك الرموز الجديدة دوّراً محورياً في تثبيت مفهوم المواطنة الحقيقية، صور الشهداء، والاقتباسات التي تتحدث عن الحقوق والعدالة، والنصوص التي تمجد الحرية والكرامة، جماعها تعيد تعريف الانتماء، وأن الوطن ليس شخصاً يُعظم، بل قيم تُبني وتجربة يعيشها الجميع.

كما تسهم هذه الرموز والجداريات الجديدة في تخفيف الألم النفسي الجماعي الناتج عن الخسائر البشرية، فصور الشهداء تحولت إلى طقس بصري للعزاء العام، ما يمنح معنى للتضحية، ويربط الفقد بمشروع وطني أوسع، وينقل المأساة من حيز الفرد إلى فضاء الذاكرة العامة.

كذلك من أهم وظائف هذا الفضاء الجديد أنه أصبح آلية لمنع النسيان، فالرموز المرئية اليومية تُبقي أحداث الماضي حاضرة، وتمكن من إعادة إنتاج الطغيان، كل جدارية تذكر بمحنة، وكل صورة تخلد تضحيات، وكل اسم شارع يعيد تعريف الحرية، حتى صار الشارع نفسه درسًا حيًّا في التاريخ وسُورًا يحمي من عودة القمع.

وأخيرًا، يشكل هذا الامتداد البصري الجديد طريقة إنسانية لتوثيق الثورة السورية العظيمة، فكل مشهد مرسوم يقدم سردية إنسانية نابضة تُقرأ بالعين والقلب معاً، إنها كتابة جديدة للتاريخ بالألوان، تتجاوز النصوص والمحفوظات، لتبني خيالاً جماعياً مشتركاً حول المستقبل.

رابط المقال: <https://www.noonpost.com/346777>